

الجوسسة بين الشرعية واللامشروعية وعلاقتها بالدبلوماسية - دراسة مقارنة-

أ.بشير عبد الرحمن

جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة:

تطالعنا وسائل الإعلام كل يوم عن حالات الجوسسة والتنصت والإستخبارات بكل أشكالها وما هذه الطفرة في الإتصالات والتكنولوجيا الحديثة إلا سلاح ذو حدين....ولعل ما ظهر في شهر نوفمبر وديسمبر عام 2010 وما يعرف بقضية ويكيليكس، وما صاحبها من بداية زعزعة النظام السري للمراسلات الدبلوماسية - Wikileaks- لصاحبها (أي صاحب الموقع الإلكتروني) جوليان أسانج - والتي تعني بالعربية مجاري التسريب - وتعني سياسيا مجاري صرف المياه القذرة حيث أصبح هذا الشخص شخصية العام 2010 وأصبح مطاردا في كل مكان من طرف أمريكا التي نشر خسائر جيشها في العراق وأفغانستان التي كشف مراسلات السفراء والدبلوماسيين عبر أنحاء المعمورة.

وبين عشية وضحاها أصبح هذا الموقع ضمن أكبر المواقع شهرة في العالم إلى جانب، غوغل وفيسبوك، وتويتر، إن هذه التجربة تضعنا أمام جرأة الإستخبارات العالمية اليوم فتطرح قضية السيادة والأمن القومي فكل المراسلات السرية لأقوى دولة في العالم أصبحت بين يدي أضعف خلق الله فما بالك بأحوالنا⁽¹⁾ وإذا كانت خزائن المعلومات في وزارتي الدفاع الخارجية الأمريكيتين عرضة للتنصت، ومن ثم التسريب الإلكتروني فما بالك بأسرار حكومات العالم الثالث... فلم يعد هناك أسرار حكومات العالم الثالث. فقد أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بأنه سيتم تعيين منسق جديد لأمن الأنترنت في وزارة الخارجية للمساعدة في ضمان حماية المواد السرية وقالت كلينتون إن هذا المنصب يتم استحداثه كجزء من خطة أكبر لإصلاح الوزارة والدبلوماسية الأمريكية وجعلها أكبر سلامة وفعالية وسرعة في الإستجابة للأزمات والتطورات الدولية، وفي عملية أخرى، أطلقت الحكومة الأمريكية مراجعة شاملة لأمن الوثائق السرية والمراسلات الدبلوماسية منذ أن بدأ موقع ويكيليكس نشر وثائق سرية تابعة للخارجية الأمريكية في 28 نوفمبر 2010⁽²⁾ فالجانب الخفي من المهام الموكلة للدبلوماسية هو الإطلاع عن كل صغيرة وكبيرة فوزيرة خارجية أمريكا حينما تطلب من دبلوماسيها جمع معلومات عن الدبلوماسيين الكوريين الشماليين أو الإيرانيين أو حتى التجسس عليهم فعل أو سر خطير إن ماطلبتة الوزيرة الأمريكية من سفراءها في العالم، يفعله كل السفراء في دول العالم وهل هناك سفارة لا تقوم بكتابة التقارير عن مختلف النشاطات والتطورات في البلد الذي يقيمون فيه، أليس من

البديهي أن يقوم السفراء بكتابة العشرات من المذكرات إلى وزارة خارجيتهم عن الأوضاع السياسية العسكرية الثقافية الاقتصادية الاجتماعية، أليس هذا تجسسا في ثوب دبلوماسي؟ وما تملك الدولة المتجسس عليها سوى أن تعتبره شخصا غير مرغوب فيه.

وهذا ليس جديدا، فهذا العمل قديما قدم الإنسان فيطالعنا القرآن الكريم عن قصة بلقيس لما أرسلت رسلها إلى سليمان عليه السلام حيث قال تعالى على لسانها " وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون " (3)، وحينما جاء الهدد في ذات القصة بأحوال الملكة إلى سليمان عليه السلام.

من هذا المنطلق نستخلص أن نقل الأخبار - أو الاستخبارات - موجودة في القرآن الكريم فالقرآن الكريم لم ينكر هذا التصرف، في حين انه نهي عن التجسس، في قوله تعالى: " ولا تجسسوا " ونهى النبي عن ذلك أيضا. إذن متى يكون التجسس مشروعاً ومتى يكون منهياً عنه وما علاقة هذا الفعل بالتمثيل الدبلوماسي المعاصر وهل هو مذموم في جميع أحواله وهل وجد التجسس في عصر الرسالة النبوية وما بعدها.

نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها في هذا العرض.

المبحث الأول: معنى التجسس لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: معنى التجسس لغة

التجسس: من الجس، والجس: اللمس باليد وموضعه المجس، يجسه جسا، واجتسه أي: مسه ولمسه. وجس الشخص بعينه إذا أخذ النظر إليه ليستبينه ويتشبهه وهو مجاز حيث إن الجس هو اللمس باليد باعتبار ما فيه من معنى الطلب باللمس، فإن من يطلب شيئا يجسه ويلمسه، فأريد ما يلزمه، واستعمل الفعل للمبالغة، ومنه جس الأرض جسا: وطئها (4)، ولذلك استعماله في غير اليد مجاز كالقول: جس بعينه إذا أخذ النظر إليه، والخبر: بحث عنه وفحص ومنه قول الشاعر:

وفتية كالدئاب الطلس قلت لهم إني أرى شبحا قد زال أو حالا
فاعصوبوا ثم جسوه بأعينهم ثم اختفوه (6) وقرن الشمس قد زال (7)

ومنه الجساس وهو وصف للمبالغة، والجساس: الأسد لأنه يؤثر في الفريسة ببرائه (8).

ومنه المجس: وهو موضع الجس يقال: فلان ضيق المجس أي ليس برحب الصدر الجمع مجاس.

جس الخبر: بحث عنه، وتفحص، وتجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه، ومنه: التجسس، يقال تجسست فلانا، ومن فلان، أي بحثت عنه كتجسست، والتجسس (بالحاء المهملة): التعرف من الجس (بالحاء المهملة)، يقال: تجسست الخبر وتجسسته بمعنى واحد: لتقاربهما فليس يتعدى إحداها من الأخرى، لأن التجسس: البحث عما يكتهم والتجسس (بالحاء المهملة) طلب الأخبار والبحث عنها، يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن: ((تفعل)) كما أن التطلب من اللمس، لما في اللمس من الطلب، وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى: ((وإنا لمسنا السماء)) (9) فالمعنيان متحدان إذ مألها واحد، وهو معرفة الأخبار (10).

وقيل التجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس صاحب سر الشر، وبالحاء المهملة: ما أدركه الإنسان ببعض حواسه، ويستعمل في الخير، والناموس صاحب سر الخير⁽¹¹⁾.
وقيل التجسس بالجيم: البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون⁽¹²⁾.
وبالنظر إلى هذه الأقوال نلاحظ: إن التجسس بالجيم المعجمة والتجسس بالحاء المهملة مألومان إلى معنى واحد، وإن كلا منهما يعني: البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها. وقد ورد قوله تعالى: ((ولا تجسسوا))⁽¹³⁾ أي: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وتستكشفوا عما ستره الله تعالى: كما ورد قوله تعالى: ((يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه))⁽¹⁴⁾ وفيه معنى طلب الأخبار عنه.

المطلب الثاني: في معنى التجسس في الإصطلاح

لم أجد فيما بحثت من كتب الفقه تعريفا اصطلاحيا محددًا للتجسس متفق عليه، وربما كان ظهور معناه كافيا للدلالة عليه دون تحديده بألفاظ خاصة لمعرفته وتمييزه.
ولم يفرد الفقهاء التجسس ببحث مستقل بحيث يتناول أبعاده وإخطاره، إلا أنه ذكر عرضا أثناء معالجة مواضيع أخرى كالتعزيز مثلا.

وقد ورد التجسس صراحة في القرآن الكريم في معرض النهي عنه في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم))⁽¹⁵⁾.

والنهي في هذه الآية متجه إلى أحاد المسلمين وجماعاتهم بمعنى: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايهم، وتستكشفوا عما ستره الله تعالى، كما قرئ أيضا بالحاء المهملة ((ولا تحسسوا)) من الحس الذي هو أثر الجس وغايته، والمراد كما يقول الألوسي على القراءتين: النهي عن تتبع العورات مطلقا، وعدوه من الكبائر⁽¹⁶⁾
فالتجسس المنهي عنه في الآية الكريمة هو: تتبع عورات المسلمين وغيرهم، ومحاولة الوصول إلى معرفتها لإشباع دافع نفسي أو غرض معين، وهو وإن كان خاصا بأحاد الناس وإفرادهم فإنه يتناول التجسس الذي تقوم به الجماعات والهيئات أو الدولة بأي صورة من الصور ولأي سبب من الأسباب غير المشروعة التي تستهدف كشف أسرار الأفراد أو الجماعات.

وقد ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين أن التجسس: هو ((طلب الأمارات المعرفة))
وقد ذكر في تفسير الكشاف وتفسير النسفي إن التجسس بالجيم والتجسس بالحاء متقاربان في المعنى: يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن: ((تفعل)) من الجس، كما أن التطلب من اللبس، لما في اللبس من الطلب.

وفي تفسير القرطبي: إن التجسس بالجيم هو: ((البحث عما يكتُم عنك))⁽¹⁷⁾.

وقد ورد في الحديث الشريف الذي ذكره صراحة في معرض النهي عنه، قال صلعم: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً))⁽¹⁸⁾

وقد افرد البخاري بابا للجاسوس سماه ((باب الجاسوس)) وأورد الآية الكريمة ((يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء))⁽¹⁹⁾ والجاسوس على وزن فاعول من التجسس، وفي شرح مسلم إن العين هو الجاسوس، وفي نيل الأوطار وفتح الباري: إن الجاسوس يسمى عينا لأن عمله بعينه أو لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها فكان جميع بدنه صار عينا.

والتجسس كما يكون في معرفة الأخبار المتصلة بالعدو في الحرب أو إحصائها ومعرفتها في وقت السلم للأخذ بها عندما تبدأ الحرب، يكون أيضا على المؤلفات العلمية وأسرارها وتقصي العيوب والأخطاء فيها، وقد يكون على الصناعات التكنولوجية المتعلقة بالكشف الصناعي أو أسرار القنبلة الذرية. وقد ذكرت معظم كتب الفقه الجاسوس بمعنى العين وأن العين هو الجاسوس. وورد تعريف الجاسوس في كتاب الخرشبي علي خليل بأنه: ((هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين، وينقل أخبارهم للعدو))

كما ذكر تعريف العين في حاشية شهاب الدين علي شرح الكنز بما يلي: ((العين هو: جاسوس القوم فيطلع على عورات المسلمين وينهي الخبر إلى دارهم))

وقد ورد التعريف بالجاسوس في دائرة المعارف الإسلامية بما يلي: الجاسوس: ((كلمة تدل على المعنى المعروف، وهي ترد ملازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيع أن يناقش إحداهما دون الرجوع إلى الأخرى، على أن الظاهر أن كلمة جاسوس تستعمل بصفة اخص للدلالة على العين يرسل بين صفوف العدو))

وقد عرفت الجاسوسية بأنها: ((مهنة الجاسوس وهي منظمة تؤلفها الدول في بلادها لتجسس لها الأخبار وتستطلع الأسرار، وتأتيها بها والجاسوسية: منظمة تجعل لمحاربة أعمال الجاسوسية))⁽²⁰⁾

كما ورد تعريف الجاسوس في القانون الدولي العام بأنه: ((هو الشخص الذي يعمل في خفية، أو تحت ستار مظهر كاذب في جمع أو محاولة جمع معلومات عن منطقة الأعمال الحربية لإحدى الدول المتحاربة بقصد إيصال هذه المعلومات لدولة العدو))⁽²¹⁾

ويستنتج من التعريفات السابقة للجاسوس إن التجسس هو: البحث والتفتيش عما يخفى من الأخبار، والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الإطلاع عليها، والاستفادة منها، في إعداد خطة المواجهة.

والملاحظ أن الجاسوس الذي يجمع المعلومات لوطنه يفيد دولته، بجهوده، وبذله كل طاقاته لانتصارها، وهو جندي مخلص، يختلف بالنسبة لدولته عن الجاسوس الذي يجمع المعلومات عنها ويعطيها لعدوها، فهذا عدو خطير والأول جندي مخلص يتجسس الأخبار ويجمعها لدولته لإفادتها.

والجاسوس بالنسبة للمسلمين إما أن يكون مسلماً مجاهداً في سبيل الله يجمع المعلومات عن العدو لصالح المسلمين ويخلص لله ولرسوله وللمؤمنين، فيستحق التقدير والمكافأة من القادة والمسؤولين، وأما أن يكون عدواً لهم سواء أكان أجنبياً أم من المسلمين، حيث إن الجاسوس المسلم الذي ينقل أخبار المسلمين للعدو أشد خطورة من جاسوس الأعداء.

ولهذا أرى أن أخصص تعريفاً للجاسوس العدو الذي يستحق العقاب سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم وذلك استنتاجاً مما مر من أقوال الفقهاء والمفسرين فأقول:

الجاسوس هو: الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين بطريقة سرية، وينقل أخبارهم للعدو سواء أكان هذا الشخص مسلماً أم غير مسلم، وسواء أكانت هذه الأخبار عسكرية أم غير عسكرية، في وقت السلم أو في وقت الحرب. (22)

ونظراً لأهمية الأخبار والحرص على معرفتها وعدم تسربها إلى الأعداء نجد أن معظم الدول القديمة، والحديثة، تحرص على جمع هذه المعلومات عن الدولة المعادية وتحيط بمعسكراتها ومواقعها الحربية وقوتها وخططها الحربية وكل ما يتعلق بالأمن بالسرية التامة، وتتخذ لذلك الحراسات المشددة مبالغة في كتمان الأخبار. والجاسوسية بصرف النظر عن أنها جديرة بالإحترام أم غير جديرة به فإنها قديمة قدم الإنسان نفسه وأصبحت في العصر الحديث ضرورة لا بد منها، بل وسيلة من وسائل القتال وقد تعد أجهزة التجسس أهم وحدات الجيوش المقاتلة. (23)

المبحث الثاني: التجسس في التاريخ الإسلامي

المطلب الأول: التجسس في عهد الرسول صلعم

مع اهتمام الرسول صلعم بأن ينشر الدين الحنيف بطريقة سلمية إلا أنه كان لا بد من أن تقع المواجهة العسكرية بين المسلمين والمشركين وعلى رأسهم قريش زعيمة العرب. وأذن الله للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم ودينهم فكانت الغزوات المعروفة في التاريخ والتي انتصر فيها المسلمون في الجزيرة العربية وخارجها وقد استعملت في هذه الغزوات كافة الوسائل العسكرية المعروفة في ذلك الوقت بما في ذلك التجسس باعتبار ماله من أهمية للحصول على المعلومات السابقة وهي سلاح قوي في القتال خاصة فيما يتعلق بالتخطيط والإعداد وكانت غزوات الرسول صلعم تسع عشرة غزوة. كما استعمل رسول الله صلعم في غزواته الجواسيس كوسيلة عسكرية وبعث الصحابة، وبهذا يذكر صاحب لامع الدراري إن الصحابة قد ذهبوا للتجسس وفي الطلائع في مواضع كثيرة ويقول: ((قال الحافظ في الفتح: وقد

وقع في كتب المغازي بعث كل من: حذيفة ونعيم بن مسعود وعبد الله بن أنيس، وخوات بن جبير، وعمرو بن أمية، وسالم بن عمير، وبسيس في عدة مواطن بعضها في الصحيح⁽²⁴⁾

فقد كان الرسول صلعم قدوة لكل قائد ولكل مسلم في كل مجال من مجالات الحياة، وقد عرف قواعد النصر، والظفر والإعداد للعدو.

وكان صلعم لا يدخل معركة إلا بعد معرفة حالة العدو ومعسكراته، ومواقعه العسكرية وطبيعة الأرض وهذا ما سنتناوله.

وفي الهجرة كان عبد الله بن أبي بكر الصديق يأتيهما بخبر القوم بالليل ثم يصبح بين أظهرهم كأنه بات بمكة، وأمر الرسول صلعم عامر بن فهيرة راعي أبي بكر ومولاه أن يرعى غنمه نهارا ثم يأتيهما بها ليلا. وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تأتيهما بالطعام مساء وفي الصباح تزيل الغنم آثار أسماء وعبد الله حتى لا تراه قريش.

وقد استعمل الرسول صلعم الإدلاء في معظم غزواته يدلونه على مسالك الطرق المؤدية إلى أية جهة يريدونها في غزواته، وكان صلعم يختارهم ممن يعرفون طبيعة الأرض وتضاريسها وكثيرا ما كان يختارهم من أهل البلاد التي لهم خبرة بها، أو اعتادوا زيارتها في الجاهلية، فقد استعمل في غزوة خيبر: حسيل بن خازجة وعبد الله بن نعيم من قبيلة أشجع النجدية، التي يرتاد رجالها دائما في الجاهلية منطقة خيبر، ولذا استطاع الرسول صلعم أن يصل إلى خيبر دون علم اليهود، على الرغم من أن اليهود حصلوا على معلومات كافية عن طريق المنافقين، وأعوان اليهود في المدينة، عن تحركات الرسول صلعم وقد استفاد من التكتّم في الخبر، وبث السرايا وطلّاع الإستكشاف لترقب حركات العدو، والقضاء على جواسيسه قبل أن يوصلوا الأخبار إليه.

وعندما دنا أبو سفيان بالقافلة قادما من الشام وأراد أن يعرف الرسول صلعم أين وصلت القافلة، بعث قبل أن يخرج من المدينة ((طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل)) إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار عن العير ثم رجعا إلى المدينة فقدموا يوم وقعة بدر فاستقبلا رسول الله صلعم وهو منحدر من بدر يريد المدينة المنورة بعد انتهاء الغزوة ولم يحضرا القتال فأسهم لكل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه بعث صلعم عشرة عينا في غزوة بدر يتجسسون له.

ولم يكتف الرسول صلعم بهذا بل بعث برجلين يتجسسان له الأخبار عن عير قريش، فعن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلعم بسيسا عينا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان فحدثته الحديث، فخرج رسول الله فتكلم فقال: إنا لنا طلبة فمن كان ظهروه حاضرا فليركب معنا، فجعل رجال يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة، فقال: لا، إلا من كان ظهروه حاضرا فانطلق رسول الله صلعم وأصحابه حتى سبقوا ركب المشركين إلى بدر⁽²⁵⁾

ثم بعث صلعم رجالا من أصحابه ينظران جيش المشركين وكم هو عدده.

المطلب الثاني: التجسس في الدول والممالك الإسلامية القديمة

كان التجسس من أهم أغراض الرسول والسفير، وكان يلزم الرسالة دائما، فيود المرسل أن يطلع على كل ما عند المرسل إليه من خير وشر، وحسن وقبيح، والرسول هو الذي يقوم بهذه المهمة، فعليه أن يكون كله عيون وأذان ليرى ويسمع وينقل.

ولقد كان التجسس من العادات القديمة في الدبلوماسية غير الثابتة في أوروبا، بل كانت من أهم أغراض الدبلوماسية.

والمسلمون عنوا أيضا بتسقط الأخبار والتجسس على عدوهم منذ عهد الفتوح، فيذكر ابن الأثير أن عمرو بن العاص لما عجز على قائد الروم في أجنادين بفلسطين، سار إليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه، حتى عرف ما أراد.

ولدينا في هذا الشأن وثيقة هامة كتبها الوزير نظام الملك في القرن الخامس الهجري في كتابه الشهير ((سياسة نامه))، وهذا النص يبين بوضوح أن غاية الرسالة ليست في الحقيقة تسليم رسالة، بل جمع معلومات واستخبارات كثيرة عن أحوال البلاد التي أوفد إليها الرسول، ونحن ننقل هذا النص لأنهم مهم، قال: يجب أن يعلم أن الملوك بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة أو نقل سفارة فقط، بل هناك مئات الأغراض يبعونها، فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق والآبار، ويعلموا إذا كانت الطرق معبدة تستطيع الجيوش أن تمر بها، والأمكنة التي توجد فيها المروج والأعشاب، والحشائش للعلف، وأن يعلموا قوة الجيش ومؤنثته، في العدد والعُد، وفي الدفاع والهجوم.

وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير، وماذا يأكل، ومن يجتمع، وأن يدركوا تنظيمات بلاطه، وعاداته فيها، وملاهيه، وهل يلعب بالصوالة أو يذهب للصيد، ويجهلون لمعرفة عاداته وأخلاقه في عدله وظلمه ولهو، وتبذله، وكرمه، ورقته، وهل هو متعلم أم جاهل.

وهل ازدهرت مملكته بال عمران أم ملأها الخرائب والأطلال.

وهل رضي عنه جنده أم هم غاضبون عليه؟

وهل أتباعه من الفقراء أم الأغنياء؟

وهل هو بخيل أو جواد؟

ووزيره هل هو قدير أم عاجز؟

وحاشيته هل هي من العلماء الأذكياء أم لا؟

ثم هم يريدون أن يعلموا ماذا يحب ويغض، ويعلموا ما شأنه إذا شرب الخمر، وهل يميل إلى الحب وإلى النساء.

حتى إذا رغبوا في مهاجمته يوما، أو أرادوا نقض خططه، أو نقد عيوبه كانوا مطلعين مدركين، يضعون المحاسن والمساوئ نصب أعينهم، وينهجون بحسبها.

فهذا النص المهم، يدلنا على أن الغاية من التجسس هي ((الحرب)).

فلاستعلام عن الجيش والطرق والأعشاب والمروج أول ما يوصي به، لأن الجيش المهاجم لابد له من معرفة هذه الأمور، ولما كان الأمير (أو السلطان أو الخليفة) هو الذي تجتمع فيه السلطة كلها اهتموا بمعرفة دقائق الأمور وجليها عنه.

ومن هنا يتضح لنا ما كان للتجسس من شأن هام لدى الرسل والسفراء، كما يتضح لنا لماذا كان المماليك يخشون من رسل التتار القادمين إليهم، ويمنعون الناس من الإتصال بهم، أو مخالطتهم كما ذكرنا قبلًا، لئلا تتصل بهم الأخبار.

وقد كان للوزير الفلاحي الفاطمي عيون يتسقطون له الأخبار في القسطنطينية، ويعثون إليه بها.^[26] وقد جرى الأيوبيون على تسقط أخبار البلاد التي يريدون غزوها أو فتحها، ففي سنة 568هـ/1172م، سار شمس الدولة توران شاه إلى بلاد النوبة، ثم أرسل إلى ملكها رسولاً وهو بقوص، مع هدية، فأكرم رسوله، وخلع عليه، وأعطاه زوجين من النشاب وقال له: قل للملك: مالك عندي جواب إلا هذا، وأراد الرسول كشف حال البلاد فجهز الملك النوبة معه رسولاً، فسار إلى دنقلة، وعاد إلى شمس الدولة فقال له: وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة، ونخل صغير منه أدامهم، ويخرج الملك وهو عريان على فرس عربي، وقد إلتف في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر، فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى، وأمر بي فكويت على يدي هيئة الصليب، وأنعم علي بنحو خمسين رطلاً من دقيق، وليس في دنقلة عمارة سوى دار الملك، وباقيها أخصاص.

وكانت الدولة الإسلامية تراقب رسل الدول التي تخشى منها، ووقعت حوادث كشف فيها الرسول المتجسس، وكان تيمورلنك قبل غزوه البلاد الشامية، أرسل جواسيس كثيرين بصفة رسل، فقبض على أحدهم، فكتب تيمورلنك إلى الملك الظاهر برقوق، محتجاً، فكتب إليه الظاهر برقوق سنة 796هـ/1394م: ((...وأما ما ذكرته من أمر الرسول فقد علمناه، والذي نعرفك به هو أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة إلى بلادنا المحروسة، واطلع عليه في ذلك جماعة من جهتنا، ولما وصل إلى الرحبة المحروسة قال للنائب بها: بس الأرض للأمير تيمور وقرأ الخطبة باسمه، فلو كان الرسول مصلحاً ما كان كتب المنازل، ولا أكثر فضوله بما لا ينبغي، وتكلم فيما لا يعنيه، لأنه لا ينبغي للرسول أن يكون إلا أعمى أخرس، غزير العقل، ثقیل الرأس)).

المبحث الثالث: التجسس المشروع في الفقه الإسلامي والقانون الدولي

تمارس سلطات أي دولة التجسس على مواطنيها وغيرهم، في الداخل لأغراض إدارية، وحكومية، وتمارسه في الخارج لأغراض سياسية وحرية، كما تمارسه على مواطنيها في الخارج. وستتكمّل في هذا المبحث عن ممارسة السلطة الحكومية للتجسس لأغراض إدارية وحكومية في الداخل، وذلك لحفظ الأمن داخل حدود الدولة كما ستتكمّل كذلك عما تمارسه الدولة من تجسس خارج بلادها لأغراض عسكرية وحرية وسياسية، في المطالب التالية:

المطلب الأول: التجسس على الأفراد والجماعات ومعرفة طاقاتهم والإستفادة منها

تتقصى الدولة الأخبار عن سيرة بعض الأشخاص أو الهيئات من أجل الإستفادة منهم، والاستعانة بهم، والأخذ بمشورتهم وخبراتهم وأرائهم في تصريف شؤون الدولة، وما تقوم به من أعمال إدارية، وإقتصادية للمصلحة العامة في البلاد.

ومن واجب الدولة أن تتعرف على المواطنين وطاقاتهم، فتحسن استغلالها لتضع الرجل المناسب في المكان المناسب⁽²⁷⁾

وإن علاقة رئيس الدولة بالمواطنين تشبه علاقة رب الأسرة بأبنائه فيتعرف على أحوالهم، ويعين ضعيفهم على مجابهة الحياة ويأخذ بيد العالم منهم والمفكر لما فيه الخير وتحقيق المصلحة العامة، ويختار من بين المواطنين من يستعين بهم لإدارة الدولة وشؤونها ومعاونته في ذلك.

ويحتاج الحاكم في معرفته للناس وتقصى إخبارهم إلى أجهزة مختصة، فقد كان نظام البريد في عهد الدولة العباسية ينقل أخبار الأقاليم المختلفة إلى الخليفة، وكان يقوم بما يقوم به قلم المخابرات في العصر الحديث.

المطلب الثاني: تجسس الدولة على أهل الريب والمجرمين وتعقبهم والوقوف على حال الرعية

إن الدولة مكلفة بحماية أفرادها، والمقيمين فيها، انطلاقاً من أهداف الإسلام السامية في إقرار المبادئ الإنسانية والسلام في العلاقات الإجتماعية.

وعلى الدولة أن تحقق العدالة الإجتماعية وأن تتعقب المجرمين وتدرأ شرهم وخطرهم وأذاهم ليعيش الناس آمنين من إفسادهم وذلك ليصفو المجتمع من كل كدر قد يعكر حياة الأفراد والجماعات الآمنين. إن الرعاية الدائمة للمجتمع تؤدي إلى الشعور العام بالراحة والإحساس بأنهم غير منسيين فلا ينفرون من المسئول.

إن رعاية المجتمع وتحقيق حماية الأفراد لا بد لها من مراقبة دقيقة تقوم بها الدولة لتهيئة جو من الأمن والاستقرار في المجتمع، ولا بد من وجود أجهزة خاصة لذلك.

وقد اتخذ الرسول صلعم الأعوان والمساعدين لتحقيق الأمن وحماية المجتمع من خطر المنافقين وأهل الريب والسوء.

وقال أبو الدرداء: ((ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذي لا يعلمه غيره والذي أجير من الشيطان على لسان النبي صلعم ؟

ويقول الماوردي: ((حق عليك أيها الوزير أن تكون لأعوانك مختبراً ولأحوالهم متطلعاً وبهما على نفسك وعليهم مستظهِراً لأنهم من بين من تسوسه وتستعين بهم لتعلم ما فيهم من فضل ونقص، وعلم وجهل، وخير وشر، وتتحرز من غرور المتشبه وتدليس المتصنع، فتعطي كل واحد حقه، ولا تقصر بذئ فضل، ولا تعتمد على

ذي جهل، فقد قيل: من الجهل صحبة ذوي الجهل، ومن المحال مجادلة ذوي المحال، والفرق بين الأختيار والأشرار فإن ذا الخير بيني وذا الشر يهدم)).

وفي كتاب سلوك الممالك في تدبير الممالك: إن من سياسة الملك لخاصته: ((الثالث: ينبغي أن يدلي العيون عليهم سرا وجهرا ليعرف أخبارهم وأسرارهم)) وإن من سياسته للرعية: ((...)) وينبغي أن يعرف أكثر أخلاق رعيته ليؤهل كلا لما يصلح له من الولايات))⁽²⁸⁾

المطلب الثالث: التجسس الدولي المعاصر

يمثل التجسس الدولي أهمية بالغة بالنسبة للدول كافة وفي مختلف العصور. فقد ازدادت أهمية التجسس خطورة بالنظر إلى الآثار العميقة والأضرار البالغة التي تلحق بالدولة التي جرى إفشاء أسرارها لاسيما أن ظاهرة التجسس ازدادت بازدياد الوسائل التي تفسح المجال لارتكابها. فضلا عن ذلك، فإن مشكلة التجسس ليست مشكلة جديدة بل مارستها الدول منذ زمن بعيد ومنذ أن ارتبطت الدول مع بعضها بعلاقات دولية، ولقد نتج عن أعمال التجسس مشاكل متنوعة وعديدة للمجتمع الدولي وأصبحت بمرور الزمن من مشاكل القانون الدولي. ولذلك قيل بأن كل دولة تحرص على ممارسة التجسس على غيرها من الدول الأخرى، وتتيح لنفسها هذا النشاط إلا أن هذه الدولة - أو تلك - لا تجيز لغيرها من الدول حق ممارسة التجسس على مصالحها الوطنية بل إنها تقاوم مثل هذا النشاط وتعاقب عليه بأشد ما يمكن من عقاب.

فمن الملاحظ أن هناك قواعد قانونية أباح أعمال التجسس واعتبرتها أعمالا مشروعة من الناحية القانونية في حين أن هناك قواعد قانونية أخرى اعتبرت أعمال التجسس معاقبا عليها فيبدو لأول وهلة، أن هناك تناقضا بين القواعد القانونية فهي تجيز عملية التجسس ثم تعود وتجزع معاقبة مرتكبها، وهنا يثور التساؤل: هل للتجسس مضمون معنوي أو طابع أخلاقي؟ وبعبارة أخرى ما هي حدود مشروعية التجسس الدولي؟ لقد اختلف الفقه حول مشروعية التجسس، فذهب اتجاه إلى أن التجسس يمثل ضرورة لا غنى عنها ومن ثم فهو نشاط مشروع ذو طابع أخلاقي، بينما ذهب اتجاه آخر إلى أن التجسس يشكل على الدوام نشاطا محرما غير مشروع.⁽²⁹⁾

مذهب مشروعية التجسس الدولي:

ييدي أعضاء هذا الاتجاه، إن التجسس الدولي يعتبر نشاطا مشروعاً سواء أكان ذلك في حالة السلم أم في حالة الحرب، ففي السلم تستمد مشروعية التجسس من مشروعية حق الدولة في البقاء والاستقلال، لأن التجسس يحقق للدولة مناعة ضد الأخطار الخارجية، أما في حالة الحرب فإن التجسس يستمد مشروعيته من مشروعية الحرب لأنه يصبح وسيلة من وسائلها.

ويستمد هذا الفريق فيما يذهب إليه إلى أن القانون الدولي يبيح التجسس وذلك من خلال العديد من القواعد والنظم التي تتعلق بالحرب على وجه التحديد:

1. بيان بروكسل سنة 1874 بشأن تدوين القانون العسكري.

2. معاهدة لاهاي سنة 1899.

3. النظام الملحق بمعاهدة لاهاي لسنة 1907.

4. دليل قوانين الحرب البرية الموجودة بمرجع أكسفورد.

5. بروتوكول جنيف لسنة 1977.

فهذه المواثيق الدولية تنظر إلى التجسس باعتباره نشاطا مشروعاً إذ أنها لم تحرمه ولم تمنع استخدامه، فالمادة 24 من معاهدة لاهاي لسنة 1907 تنص على أن: "خدع الحرب والقيام بالأعمال للحصول على المعلومات عن الطرف المعادي تعتبر أعمالاً مشروعة".

وفيه من ذلك أن التجسس هو أحد وسائل الخداع المسموح للمتحاربين باللجوء إليها.⁽³⁰⁾

المبحث الرابع: التجسس غير المشروع

المطلب الأول: التجسس المؤدي إلى الوقوف على العورات

إن التجسس المؤدي إلى فضح العورات لا تسمح به الشريعة الإسلامية بحال من الأحوال، بل نعت عنه، فتجسس المسلم على أخيه المسلم حرام بالإجماع، لقول الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم))⁽³¹⁾

ففي هذه الآية الكريمة النهي صراحة عن التجسس وتتبع عورات المسلمين والبحث عن ذلك وعن معابهم والكشف عما ستره الله تعالى: وتناول الذميين بجرمة التجسس عليهم أيضاً، وعده بعض العلماء من الكبائر. وقد نهى الله عن التجسس نهياً عاماً، ويدخل في ذلك أنواع التجسس سواء أكان ذلك لحب الإستطلاع أم لكشف العورات أم لخدمة جهة من الجهات ويشمل الحاكم والمحكوم لأن الخطاب للجميع. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة الأسلمي قال: خطبنا رسول الله صلعم قال: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته))⁽³²⁾

كما ورد عن النبي صلعم قوله: ((أيكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا

تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً))

والتجسس المؤدي إلى فضح العورات حرام، وأن كل مسلم عليه أن يأخذ بما ظهر، ولذلك يفهم من معنى

الآية الكريمة ومجموعة الأحاديث أنها تؤدي إلى أن على المسلمين أن يأخذوا بما ظهر ولا يتبعوا عورات إخوانهم المسلمين ويبحثوا عن عيوبهم سواء أكانوا أحاداً أم جماعات.

ولا يجوز التجسس ولا تتبع عورات المسلمين سواء أسبق ذلك ظن السوء أم لا، وقد قرن الله نهي عن التجسس مع نهي عن الظن بالناس، والغيبة وهي مما لا يرضاه الخلق والدين لما في ذلك من كشف عورات سترها الله تعالى، وكان الأولى أن يحافظ عليها، وأن تحترم كل أسرة من أسر المجتمع.⁽³³⁾

المطلب الثاني: مذهب تحريم التجسس الدولي (عدم مشروعية التجسس الدولي)

يذهب هذا الاتجاه إلى أن التجسس دائما وأبدا يشكل نشاطا غير مشروع، فهو ومن خلال التجارب المستفادة من الواقع الدولي يظهر عن طريق ممارسة أعمال مستهجنة وبأساليب ذميمة يقوم بها الجواسيس ويكون الدافع الأساسي لهم هو تحقيق الربح والمكاسب على حساب إلحاق الضرر والتهلكة بأمن وسلامة الأمم والدول المتجسس عليها.

فالتجسس بذلك ليس إلا سلوكا منبوذا لا يتفق مع الأخلاق العامة أو الأعراف أو التقاليد الدولية أو المحلية في كل مكان وكل زمان سواء نظر إليه من منظور ديني أو سياسي أو أخلاقي أو وطني. ويضاف إلى ذلك أنه ليس هناك نص أو حكم في القانون الدولي يبيح ممارسة التجسس صراحة أو ضمنا، لاسيما معاهدة لاهاي إذ أن معاهدة لاهاي وغيرها من الإتفاقيات الدولية - سالف الذكر - قد عاجلت مسألة التجسس الذي يقع في نطاق العمليات الحربية للأطراف المتنازعة، واعتبرت أعمال الحصول أو البحث عن معلومات عن الطرف المعادي من قبيل عمليات الإستطلاع الذي يجوز القيام بها لكل من طرفي النزاع إذا تمت دون استعمال الغش أو الإحتيال.

ومعنى ذلك أنه وطبقا لأحكام القانون الدولي يعتبر التجسس عملا غير مشروع إذا وقع حتى داخل منطقة العمليات، ولكن من غير المتحارين أو تم باستعمال التنكر أو الخداع. أما فيما يتعلق بنص المادة 24 من المعاهدة التي تعتبر الحصول على المعلومات في منطقة العمليات الحربية عملا مشروعا بشروط معينة، فمردود عليه بأن هذا الحكم يتعلق بمشروعية الإستطلاع أثناء الحرب، وهو مبدأ متعارف عليه منذ القدم لكنه لا يفيد إباحة التجسس.

هذا ويمكن القول أنه قد تكون واقعة التجسس معاقبا عليها بمقتضى قواعد قانون العقوبات الوطني ولكن يمنع العقاب عنها لوقوعها من أجنبي يتمتع بالحصانة الدبلوماسية عن أفعاله التي تقع منه في الدولة الموفد إليها. ومرد ذلك، أن المادة 31 من إتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961 تشير إلى أن المبعوث الدبلوماسي لا يخضع لسلطات القضاء الإقليمي، وبذلك لا يجوز إقامة الدعوى الجنائية عليه أمام الجهات القضائية للدولة الموفد إليها، وبالتالي لا يجوز إخضاعه لقانون العقوبات الوطني حتى وإن ارتكب عملا يعد جريمة تجسس، الأمر الذي يثير التساؤل حول واقع العلاقة بين التجسس والتمثيل الدبلوماسي.⁽³⁴⁾

المطلب الثالث: علاقة التجسس بالتمثيل الدبلوماسي

الدبلوماسيون ليسوا ملائكة، ولا شك في ذلك، حيث لوحظ أنه فيما يتعلق بأعمال الجاسوسية أن هناك الكثير من رجال السلك الدبلوماسي يعملون تحت غطاء العمل الدبلوماسي - مع تشبهم بالحصانات

الدبلوماسية- ولكنهم في الحقيقة رجال مخبرات لدولهم ولعل الخلط بين الدبلوماسية والجاسوسية يمكن إرجاعه إلى الصور القديمة للدبلوماسية وخاصة في (العصر البيزنطي) حيث كان المبعوثون الدبلوماسيون يلجئون إلى التحايل والخديعة للحصول على المعلومات الأمنية والعسكرية.

ولذلك، فإن إنتهاكات الدولة الموفدة لالتزاماتها فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية بصفة عامة تتمثل فيما يرتكبه المبعوث الدبلوماسي الذي يمثلها من أعمال تعد إساءة لاستخدام الحصانات والإمتيازات الدبلوماسية، فقد تتجاوز الدولة الموفدة العدد المتفق عليه من الدبلوماسيين الذين يمثلونها، أو تكفلهم بأعمال لا تدخل فيما هو مصرح به لهم، ولعل أخطر هذه الإنتهاكات هو "القيام بالتجسس" فضلا عن التدخل بالشؤون الداخلية للدولة الموفدة إليها.

فيلاحظ أن استخدام أجهزة المخابرات لسفارتها في الخارج كغطاء دبلوماسي لبعض ضباطها أصبح عرفا مستقرا في العلاقات الدولية، وبرغم حالات الطرد التي تجري بصفة مستمرة فإن تلك الدلائل تشير إلى أن دبلوماسية المستقبل سوف تستمر في الإستعانة بهؤلاء الضباط. ففي أوائل الثمانينات صرح المفتش العام لإدارة مكافحة التجسس الفرنسية بأنه: ما بين (40% - 60%) من الدبلوماسيين العاملين في السفارات الأجنبية في باريس يعملون في التجسس.

بالإضافة إلى أن 40% من العاملين في السفارات الروسية في الخارج هم من رجال المخابرات. وتجدد الإشارة إلى أنه قد تزايد في الآونة الأخيرة إساءة استخدام تلك الحصانات الدبلوماسية من قبل المتمتعين بها بارتكاب جرائم كثيرة تحت غطاء الحصانات الدبلوماسية، وهذا ما يطلق عليه البعض: (الجرمة الدبلوماسية) والتي تتميز بأن مرتكبها هو شخص أجنبي يتمتع بالحصانة المستقرة في القانون الدولي والفعل مجرم في القانون الجنائي الداخلي.⁽³⁵⁾

السوابق الدولية في التجسس الدبلوماسي

حينما ترى الدولة بأن استمرار وجود المبعوث الدبلوماسي يشكل تهديدا لأمنها كقيامه بنشاط التجسس وحصوله على الأسرار الوطنية للدولة الموفد إليها، فلا غرابة أن تلجأ تلك الدولة إلى الدفاع عن أمنها من خلال طرد المبعوث الدبلوماسي.

فهناك الكثير من السوابق الدولية الدالة على وقوع التجسس الدبلوماسي وعلى سبيل المثال ما يلي: قرار الحكومة البريطانية في 24 سبتمبر عام 1971 بطرد مئة وخمسة من الدبلوماسيين الروس لإتهامهم بالتجسس.

في عام 1978 اعتقلت السلطات الأمريكية أحد الدبلوماسيين العاملين في الأمم المتحدة لمحاولة شراء وثائق سرية خاصة بالبحرية الأمريكية وجرى طرده من البلاد.

قرار الحكومة الكندية في 9 يناير عام 1977 بطرد ثلاثة دبلوماسيين لاتهمهم بالتجسس وتحديد أمن الإقليم.

يذكر أن هيئة التحقيقات الفدرالية الأمريكية (F B I) كانت حتى عام 1985 ترصد تحركات 2300 دبلوماسي يعملون بسفارات الدول الشيوعية في الولايات المتحدة بالإضافة إلى زوجاتهم. قرار حكومة الهند في 24 يناير عام 1971 بطرد دبلوماسي باكستاني لتهامه بالتجسس. في الستينيات تم طرد أكثر من 200 دبلوماسي سوفياتي في أكثر من 50 دولة بسبب تورطهم في عمليات التجسس.

أعلنت سلطات البوليس اليابانية في 11 يناير 1980 أن اثنين من الدبلوماسيين السوفياتيين في سفارة الاتحاد السوفياتي في طوكيو قد تورطا في شبكة التجسس اليابانية التي أكتشفت. قرار الحكومة الفرنسية في 4 يوليو عام 1970 بطرد دبلوماسي بولوني لتهامه بالتجسس. قرار الحكومة السويدية في 8 فبراير عام 1972 بطلب إستدعاء دبلوماسي بريطاني لتهامه بمحاولة الحصول على معلومات من البنوك السويدية عن الحسابات السرية لبعض رعايا إنجلترا الأمر الذي يهدد الأمن المصري في السويد وهو أمر جوهري بالنسبة لهذه الدولة بالذات.

في عام 1996 تم طرد أربعة دبلوماسيين روس من بريطانيا لتورطهم في أعمال تجسس. بطبيعة الحال هذه بعض النماذج من السوابق الدولية للتدليل على وجود التجسس الدبلوماسي في محيط العلاقات الدولية إذ أنه أصبح من المألوف والطبيعي أن يساء استخدام الحصانات الدبلوماسية، وإن كان القانون الدولي يفترض بمن يتمتع بالحصانة أن يحسن استخدامها ولا يتخذها ذريعة لانتهاك القانون الداخلي.⁽³⁶⁾

خاتمة:

من خلال هذا العرض عن الجوسسة وعلاقتها بالدبلوماسية نجد أن هذه الكلمة أو العبارة خشنة وتشتمئز لذكرها الأذان وتنفر عند ذكرها القلوب وتضطرب بسببها المودة والألفة بين الأفراد والدول بخلاف الدبلوماسية التي تعني اللباقة وحسن إدارة العلاقات، وفن تمثيل الدول وفن حل الخلافات بالطرق السلمية، وفن الإقناع. لكن إن استخدمت الجوسسة لصالح الدول فإن الدولة تمتن لممتهنها الذي يضحي ويترصده ويتربص كل معلومة وكل خبر ولا يذر شاردة أو واردة الإطار بما فيه يصاب أمن الدولة في الداخل وفي الخارج. شريطة أن لا يكشف أمره وإلا بطل أمانه وانتقض عهده ورحل إلى أهله على الراجح من أقوال الفقهاء. وفي القانون الدولي اعتبر شخصا غير مرغوب فيه أو بالطرد، كما فعلت ذلك الولايات المتحدة الأمريكية يوم 21.03.2001 حيث طردت 50 دبلوماسيا روسيا بتهمة التجسس فقابلت روسيا الاتحادية هذا العمل بأشد منه وطردت في اليوم نفسه 50 دبلوماسيا أمريكيا من أراضيها، وهو ما يعرف بمبدأ المعاملة بالمثل ومع تطور

وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة ووسائل التنصت بكل أشكالها وفرت هذه الوسائل الكثير من الجهد والتكلفة والوقت وصار العالم اليوم أكثر عرضة للجوسسة والابتزاز، وهذا ما رأيناه مع قضية ويكيليكس.

قائمة المراجع

- 1- رمضان بلعمري، جريدة الخبر اليومي، 2010.12.06 عدد 6197
- 2- د/فيصل القاسم، جريدة الشروق اليومي 2010.12.30 عدد 3159
- 3- سورة النمل، الآية
- 4- سورة الحجرات، الآية 12
- 5- تاج العروس، ج4، ص 119 - لسان العرب، ج7، ص337
- 6- اختفوه: أظهروه
- 7- لسان العرب، ج7، ص337
- 8- لسان العرب، ص337
- 9- سورة الجن، آية 08
- 10- لسان العرب، ج7، ص337، تاج العروس، ج4، ص119
- 11- تاج العروس، ج4، ص19
- 12- لسان العرب، ج7، ص373
- 13- سورة الحجرات، الآية 12
- 14- سورة يوسف، الآية 87
- 15- سورة الحجرات، الآية 12
- 16- تفسير الالوسي، 26، ص157
- 17- محمد راكان الدغمي، التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ط 3، 2006، ص26
- 18- صحيح البخاري، شرح فتح الباري، رقم "6066"، ج10، ص448
- 19- سورة الممتحنة، آية 01
- 20- محمد راكان الدغمي، مرجع سابق، ص 29، انظر أيضا احمد سالم باعمر، الدبلوماسية الإسلامية، مقارنة بالقانون الدولي، دار النفائس، ط، 2001، ص173
- 21- د/ علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، نشأة المعارف، الإسكندرية، ب ط، ب ت، ص846
- 22- محمد راكان الدغمي، مرجع سابق، ص31

- 23- المرجع نفسه، ص33
- 24- المرجع نفسه، ص 55، انظر أيضا الدبلوماسية الإسلامية عبد الرحمن محمد عبد الرحمن، دار اليقين، 2006، ص91
- 25- الرحيق المختوم، المباركفوري، السيرة النبوية لابن هشام.
- 26- د/ صالح الدين المنجد، النظم الدبلوماسية، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط 1، 1983.
- 27- الرسول صلعم، سعيد حوى، دار عمان، 1988، ص204
- 28- محمد راكان الدغمي، مرجع سابق، ص 117، 119، 125
- 29- عاطف فهد المغاريز، الحصانة الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة، الأردن، ط 1، 2009، ص160 وما بعدها
- 30- المرجع نفسه، ص161
- 31- سورة الحجرات، الآية 12
- 32- سنن أبي داود، ج2، ص568
- 33- محمد راكان الدغمي، مرجع سابق، ص141، انظر فاوي الملاح، ص724
- 34- عاطف فهد المغاريز، مرجع سابق، ص 163، انظر أيضا غازي حسن صباريني، الدبلوماسية المعاصرة، دار الثقافة الأردن ص142
- 35- المرجع نفسه، ص 165، انظر أيضا فاوي الملاح، سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية، دار المطبوعات الجامعية، 1993، ص723
- وانظر أيضا د/ علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي، ص186
- ود/ أيمن أبو الروس، الجريمة الدبلوماسية، مكتبة ابن سينا، ب ط، ص115
- 36-عاطف فهد المغاريز